الاقتصاد عصب الحياة [1]

آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي

قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

رعاية الإسلام للاقتصاد

من هدي القرآن الكريم

السعي لكسب المال

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)(١).

(للرجال نصيب ممّا اكتسبوا وللنساء نصيبٌ ممّا اكتسبن)(٢).

(اعلموا أنّما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)(٣).

الاقتصاد وذم الإسراف

(ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم التي جعل الله لكم قياماً)(٤).

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين)(٥).

(وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها)(٦).

(إنهم كانوا قبل ذلك مترفين)(٧).

الاقتصاد وموارد الإنفاق

(والذين في أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم)(٨).

(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه)(٩).

(الذي يُؤتى ماله يتزكّى)(١٠).

---

(١) ملاحظة: أخذنا نص هذا الكتاب من الانترنيت موقع الإمام الشيرازي قدس سره، ولابد من مطابقته مع الأصل المطبوع للتأكد من سلامته وعدم التغيير والحذف والتبديل فيه.

(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(١١).

(كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلَّ عليكم غضبي)(١٢).

من هدي السنة المطهرة

الاقتصاد في الأسعار

(علامة رضا الله تعالى في خلقه عدل سلطانهم ورخص أسعارهم وعلامة غضب الله تبارك وتعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم)(١٣).

(عن أحمد بن محمد، عن بعض أصحابه رفعه في قول الله عز وجل:

(إني أراكم بخير) قال : كان سعرهم رخيصاً)(١٤).

عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

(غلاء السعر يسيء الخلق ويذهب الأمانة ويضجر المرء المسلم)(١٥).

(قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لرجل يوصيه ومعه سلعة يبيعها:

سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : السّماح وجه من الرباح)(١٦).

الاقتصاد في الإنفاق

(عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : الاقتصاد نصف المؤونة)(١٧).

(عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : الاقتصاد ينمي القليل، الإسراف يفني الجزيل)(١٨).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الحسن عند وفاته :

(اقتصد يا بني في معيشتك واقتصد في عبادتك)(١٩).

(عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من اقتصد أغناه الله)(٢٠).

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر)(٢١).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : (من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر)(٢٢).

الغاية من الاقتصاد

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ما من نفقة أحبُّ إلى الله من نفقة قصد)(٢٣).

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصّالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة)(٢٤).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

(المؤمن سيرته القصد وسنّته الرشد)(٢٥).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

(إن القصد أمر يحبه الله عزّ وجل وإنّ السرف يبغضه)(٢٦).

عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : (غاية الاقتصاد القناعة)(٢٧).

عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) : (للاقتصاد مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل)(٢٨).

العمل والمعاش

(عن عليّ بن شعيب قال : دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فقال لي : يا عليّ: من أحسن الناس معاشاً؟ قلت يا سيّدي أنت أعلم به منّي فقال : يا علي : من حسن معاش غيره في معاشه، يا علي: من أسوأ الناس معاشاً؟ قلت : أنت أعلم، قال : من لم يعش غيره في معاشه)(٢٩).

(في الدعاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ولا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي)(٣٠).

(عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : أطيب العيش القناعة)(٣١).

(عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : قوام العيش حسن التقدير وملاكه حسن التدبير)(٣٢).

الاقتصاد عصب الحياة

إن المجتمع الذي تتكاتف أجزاؤه ويسوده التعاون وروح الأخوة يسوده التكامل الاقتصادي أيضاً.

والتكامل الاقتصادي أهم عيار لقياس مدى تقدم أي مجتمع فعلى سبيل المثال عندما يجد إنسان أن جاره ينتج محصولاً معيناً فهو ينتقل إلى محصول آخر كي تتكامل المحصولات وذلك لسد جميع احتياجات المجتمع من المحاصيل ولا تبقى للمجتمع أي حاجة لم تسد أو لم يتوفر من يقوم بأعبائها، هذه الروح هي التي تقاس على أساسها قوة المجتمع وضعفه.

والمجتمع الإسلامي في صدر الإسلام قام على هذا المبدأ، خاصة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك كانت تلك الروح موجودة في زمان الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فالإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الذي صب المعارف الإسلامية وآدابها وسننها في قالب الأدعية وقدمها إلينا سهلة يسيرة، من هنا أصبحت هذه الأدعية ذات أهمية مرموقة وهي عبارة عن مدرسة متكاملة للمسلمين.

ومن جملة تلك الأدعية التربوية هو دعاء مكارم الأخلاق حيث ذكر في عشرة مواضع من هذا الدعاء تقريباً موضوع (الاقتصاد) في مورد واحد ذكر لفظ الاقتصاد بالنص، وفي بقية الموارد لمّح وأشار إلى معنى الاقتصاد.

فمثلاً جاء في هذا الدعاء : (اللهم صلّ على محمد وآل محمد ومتّعني بالاقتصاد).

قد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : لماذا يذكر الإمام عليه السلام لفظ الاقتصاد في الدعاء الذي هو عادة يتضمن معنى العبادة التي يناجي بها الإنسان ربه سبحانه وتعالى في عشرة موارد؟

قد يجاب عن هذا السؤال هو ان الحياة فيها شدة ورخاء وينبغي للإنسان أن يقتصد في كل مجال من مجالات حياته.

والجدير بالذكر هو أن هذا الدعاء وبقية أدعية الصحيفة السجادية هو من أجل تعليم الإنسان وهداية البشر ككل.

إن الذين يقولون إن الحياة مبنية على الاقتصاد(٣٣) يخطأون في الواقع، نعم إن الاقتصاد هو أحد الدعائم الرئيسية للحياة حيث يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (من لا معاش له لا معاد له)(٣٤) وهذه الرواية هي عين الواقع لأن الذين يفقد القدرة الاقتصادية لم يكن بإمكانه تضمين آخرته ولا فرق بين أن يكن المعاش جماعي أو فردي.

وقد جاءت في روايات كثيرة تمدح الغنى وتذم الفقر ومنها:

(سلوا الله الغنى في الدنيا والعافية وفي الآخرة المغفرة والجنّة)(٣٥).

وعن مولانا أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) حيث قال : (لا تلم إنساناً يطلب قوته، فمن عدم قوته كثرت خطاياه، يا بني الفقير حقير لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، لو كان الفقير صادقاً يسمونه كاذباً، ولو كان زاهداً يسمونه جاهلاً، يا بني من ابتلي بالفقر ابتلي بأربع خصال : بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقة في دينه، وقلة الحياء في وجهه، فنعوذ بالله من الفقر)(٣٦).

١ ــ الجمعة : ١٠.

٢ ــ النساء : ٣٢.

٣ ــ الحديد : ٢٠.

٤ ــ النساء : ٥.

٥ ــ الأعراف : ٣١.

٦ ــ الإسراء : ١٦.

٧ ــ الواقعة: ٤٥.

٨ ــ المعارج : ٢٤ ــ ٢٥.

٩ ــ الحديد : ٧.

١٠ ــ الليل : ١٨.

١١ ــ البقرة ١٩٥.

١٢ ــ طه : ٨١.

١٣ ــ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فروع الكافي : ج ٥ ص ١٦٢.

١٤ ــ فروع الكافي : ج ٥ ص ١٦٤.

١٥ ــ فروع الكافي : ج ٥ ص ١٦٤.

١٦ ــ وسائل الشيعة : ج ١٢ ص ٢٨٨.

١٧ ــ غرر الحكم.

١٨ ــ غرر الحكم.

١٩ ــ بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٠.

٢٠ ــ تنبيه الخواطر : ص ١٣٦.

٢١ ــ بحار الأنوار : ج ٧١ ص ٣٤٦.

٢٢ ــ غرر الحكم.

٢٣ ــ بحار الأنوار : ج ٧٦ ص ٢٦٩.

٢٤ ــ تنبيه الخواطر ص ١٣٦.

٢٥ ــ غرر الحكم.

٢٦ ــ بحار الأنوار : ج ٧١ ص ٣٤٦.

٢٧ ــ غرر الحكم.

٢٨ ــ بحار الأنوار : ج ٦٩ ص ٤٠٧.

٢٩ ــ بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٣٤١.

٣٠ ــ بحار الأنوار : ج ٩٤ ص ٢٦٩.

٣١ ــ غرر الحكم.

٣٢ ــ غرر الحكم.

٣٣ ــ أمثال ماركس وانجلز.

٣٤ ــ غرر الحكم.

٣٥ ــ عن الإمام الصادق (عليه السلام) في فروع الكافي : ج ٥ ص ٧١.

٣٦ ــ البحار : ج ٦٨ ص ٣٤٨.

الاقتصاد في حياة المسلم

أهمية الاقتصاد والمال والعمل

لقد أفتى مشهور الفقهاء الإمامية بأن الذي يتمكن من السفر إلى الحج بعد عملية الإحرام في الميقات عليه أن لا يلبس الملابس المخيطة ولكن قالوا أيضاً أنه بإمكان المحرم في حال الإحرام أن يحمل معه كيس نقوده (أي همیانه) مع العلم إن هذا الكيس مخيط.

وفي الرواية عن أحد الأئمة (سلام الله عليهم) حيث قال :

إنه سئل سائل : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لماذا يجوز للحاج بعد الإحرام أن يحمل معه همیانه المخيط؟

فأجاب الإمام (عليه السلام) : لأن الإنسان بعد ثقته واعتماده على الله سبحانه وتعالى يعتمد على ماله في مختلف مجالات الحياة.

وإن الإنسان إذا صرف النظر عن (العمل والمعاش) لم يكن بإمكانه أن يعيش في أي مجتمع برفاه وطمأنينة.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (الفقر أشدُّ من القتل)(١).

وفي رواية : (الفقر سواد الوجه في الدارين).

[من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله]

كان أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعاني من فقر شديد، ذات يوم حدثته زوجته قائلة له : اذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشكو إليه فقرنا، عسى أن يعيننا عليه فجاء الصحابي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتكى أمره واستعانه فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له : (من سألنا أعطيناه ومن أستغنى أغناه الله)(٢).

فعاد الرجل إلى داره ولكن الفقر لم يفارقه وأخذ يشتد عليه فجاء ثانية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب مساعدته مرة ثانية فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل ما قال له في المرة الأولى.

وجاء مرة ثالثة وكان الرد بمثل الأول فصمم الرجل على العمل الجدّي وذهب واستأجر فأساً وأخذ يعمل حطاباً حتى تمكن من شراء فأساً وأعاد الفأس الذي استأجره إلى صاحبه وهكذا أغناه الله سبحانه حتى اشترى عبداً، وتحسن وضعه المعاشي بسبب تلك الهمّة العالية والمثابرة التي أبداها في هذا المجال. وبعد ذاك أتى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقصّ عليه ما جرى فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ألم أقل لك : من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله.

إذن الدين الإسلامي يؤكد على (العمل والمعاش) وقد جاء في الروايات عن الإمام الكاظم (عليه السلام) : انه قال: (من طلب الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله).

وبعض أهل الاقتصاد يقولون [الكرامة الاقتصادية موجبة للكرامة الاجتماعية] وهذا من أهم قوانين الاقتصاد الإسلامي.

نعم إن الاقتصاد يلعب دوراً هاماً في حياة البشر.

والله سبحانه وتعالى يخاطب الذين لا يملكون مالاً ويريدون النكاح:

(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله)(٣)، وكذلك قال : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)(٤).

ومن هنا يشترط بعض الفقهاء الكفاءة في المؤونة للذي يريد النكاح والتزويج لأهمية المال والاقتصاد في إدارة شؤون الأسرة.

جميع هذه الآيات والروايات تدل على أهمية الاقتصاد، فلولا الاقتصاد في العيش لاختلّ نظام الحياة، وكثير من الأدعية تشير إلى هذا الجانب مثل : (أعوذ بالله من الكفر كما أعوذ بالله من الفقر)(٥).

كما أود الإشارة إلى نقطة رئيسية التي استعملها المستعمر ولا يزال يستخدمها كورقة رابحة للضغط على حرية بعض الشعوب الإسلامية ونهب الثروات الطبيعية وتسيير البلاد حسب ما يروق لهم.

حيث إن الإسلام العظيم لا يقتصر على العبادة في المسجد والصيام لدى حلول شهر رمضان ومزاولة المناسك أيام الحج ودفع الحقوق الشرعية من الخمس والزكاة، وتحسين الأخلاق وتهذيب السلوك وروحانية القلب كما يحلو للمستعمرين في الشرق والغرب تفسير الإسلام بذلك والتأكيد عليه حتى يسهل عليه تفريغ المجتمع الإسلامي من محتوياته ومعطياته وتغيير مساره الصحيح الباعث على استقلال المجتمع وكرامة الإنسان ورضاء العيش وسعادة كل واحد من أفراد المجتمع المسلم لنهب تلك الثروات الطبيعية ووضع الشعوب الإسلامية في أدنى مستوى من التخلف والتبعية والشعور بالنقص تجاه الدول الغربية المتطورة.

بل الإسلام وكما جاء به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نظام شامل ومتكامل يعالج جميع شؤون الإنسان ويتدخل في كافة المجالات التي هي ضرورية للحياة.

وفي مقدمة المسائل الحيوية الباعثة على الرفاه والرخاء القضايا الاقتصادية التي تعتبر بمثابة العمود الفقري للمجتمع الإنساني المعاصر.

إن الاستعمار المتمثل بالشرق والغرب مثلهم كمثل السارق الذي يتستر في الليل ويتسلل عبر جدار البيت حيث يجدون في الاقتصاد المتخلف خير باب للدخول والنفوذ إلى البلاد الإسلامية والتسلط عليهم.

وعالم اليوم مقسم إلى نظامين : النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي، فالنظام الشيوعي : كما تعلمون يعمل الناس في ظله وهم في الوقت نفسه يعانون من الفقر والجوع ولكن القلة القليلة الحاكمة هي التي يحق لها أن تعيش برغد ورفاهية.

والنظام الرأسمالي: يوسع هذه الدائرة قليلاً ويشارك معه في الحياة المرفهة بعض أصحاب المال والشهرة.
ولكن كلا النظامين يعملان على تحطيم الاقتصاد العام، في قضايا مفصلة مبحوثة في كتب الاقتصاد.
الاقتصاد في مناهج الحوزات العلمية

ينبغي على طلبة الحوزات العلمية أن يدرسوا إلى جانب دروسهم الفقهية والأصولية درس الاقتصاد ويهتموا به كثيراً.
ويبدأ هنا الاهتمام بتأليف الكتب الاقتصادية والبحث في مختلف جوانبه لأن الاقتصاد هو عصب الحياة في المجتمع الإنساني.
ومن إحدى قوانينه هو ما يتعلق بالإسراف حيث قال الله تعالى:
(إنه لا يحب المسرفين)(٦).
في ذم الإسراف

ينقل ان الحسن البصري كان جالساً على حافة شط الفرات فملأ إناءً بالماء فشرب ورمي بالباقي على الأرض فزجره الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على فعلته هذه لأنه نوع من الإسراف.
وينقل إن الإمام الرضا (عليه السلام) رأى رجلاً أكل نصف تفاحة ورمى بالنصف الآخر فقال له الإمام (عليه السلام) لماذا تسرف وذكر الآية : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)(٧).
وهذا الخطاب من الله سبحانه وتعالى خطاب للجميع وهو نهي لهم عن الإسراف والمراد منه الخروج عن الحلال إلى الحرام، فالإسراف والإقتار مذمومان وقوله (إنه لا يحب المسرفين) معناه يبغض المسرفين، لأنه ذم لهم ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذماً لهم ولا مدحاً.

١ ــ البحار : ج ٧٢ ص ٤٧.
٢ ــ البحار : ج ٦٩ ص ٤٧.
٣ ــ النور : آية ٣٢.
٤ ــ النور : آية ٣٣
٥ ــ الصحيفة السجادية.
٦ ــ الأنعام : آية ١٤١.
٧ ــ الأعراف : آية ٣١.

دور الفقهاء في الاهتمام بالاقتصاد

دور الفقهاء في الاهتمام بالاقتصاد

في الأزمنة الماضية كان العلماء يصبّون الفقه في قالب يناسب ويتلاءم مع ظروف زمانهم في سبيل تعريف الناس بالإسلام وأحكامه الإلهية من أمثال شيخ الطائفة (قده) الذي كان يعيش قبل ألف سنة والسيد المرتضى والسيد الرضي والمحقق والعلاّمة والشهيدين والمجلسي والشيخ البهائي والفيض الكاشاني وصاحب الجواهر والشيخ المرتضى الأنصاري (قدس الله أسرارهم) هؤلاء كانوا في قمة العلم والفقه وهم أهم علماء عصرهم وقد قدموا الإسلام بشكل جيد في ذلك الزمان.

لكن اليوم وفي عصرنا الحاضر يأتي الدور إلينا لكي نعرف الإسلام والفقه الإسلامي والاقتصاد الإسلامي بلسان العصر الذي نعيشهُ نحن وبما يلائم ظروفنا الحالية لكي يتعرف الناس على الأحكام الإسلامية وقوانينها بشكل أفضل.

لا إشكال ولا ريب إن الجوهر والأصل هو الكتاب والسنّة ولكن الصورة تتغير حسب تغير الزمان.

ومن الجدير بالذكر بأن الذي يتعلم عليه أن ينزل علمه إلى ميدان العمل لأن القول بلا عمل (كالهواء في شبك) والطبيب الذي يتخرج من الجامعة ينبغي عليه أن يفتح عيادته ليداوي المرضى.

فتعلم الاقتصاد بحاجة إلى تطبيق عملي وان الشخص الذي يتعلم الاقتصاد الإسلامي عليه أن يطبق نظرياته وقوانينه في المجتمعات الإسلامية أيضاً وإلاّ أصبح تعلمه لغواً.

لننظر قليلاً إلى إسرائيل الغاصبة إنها زهاء خمسين عاماً وهي تتوسع أكثر فأكثر وسبب ذلك واضح كل الوضوح لأنها تنزل شعاراتها إلى ميدان العمل في أغلب الأحيان.

ولكن الحكّام في بعض البلاد الإسلامية يكتفون فقط بالوقوف خلف المنصّات واللاقطات ويطلقون الشعارات البراقة دون أن يخطوا خطوة واحدة في الميدان العملي.

نحن لا ننكر فضل الشعار ولكن إنما يصبح الشعار مهماً وممدوحاً في الوقت الذي يتبعه العمل.

ومن هنا يجب الاهتمام بطرح منهجية كاملة للاقتصاد الإسلامي من مصادره الأصلية لتعريف المسلمين والعالم على مناهج الإسلام وقوانينه الحيوية الصالحة لقيادة البشرية إلى شاطئ الأمن والحرية والرفاه.. ومن الله نستمد العون والسداد..

ربنا فقهنا في كتابك واكشف عن قلوبنا ظلمات الذنوب لكي نتفهم آياتك وأزح عن بصائرنا غشاوة الدنيا وبريقها الكاذب لكي تملأ قلوبنا بهداك واجعلنا من حملة قرآنك وسنة نبيك والسائرين على طريق طاعتك ربنا واغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته